

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسم الدعوة والاعلام

كلية أصول الدين
والاتصال

"توظيف النظرية في بحوث الاعلام والاتصال"

"ندوة علمية تكوينية"

د: صليحة العابد

عنوان المداخلة: الخطوات الاجرائية التي تربط النظرية بالبحث العلمي في مجال علوم الاعلام والاتصال .

الاشكالية :

يقول كريب (Crep) إن النظرية مفيدة إذا استطعنا تعلم منها ولا نستطيع التعلم منها إلا إذا عرفنا كيف نستخدمها ، ففهم النظرية هو مسألة تتعلق بتعلم التفكير النظري.⁽¹⁾

يقول موريس إنجرس: "إن رجوعنا إلى نظرية لها علاقة بمشكلة بحثنا يسمح لنا بتوضيحها وتوجيهها، لأن كل فرع علمي له نظريات لفحص موضوع الدراسة، تستخدم النظرية كدليل لإعداد البحوث نظرا إلى ما توفره من تأويلات عن الواقع ."⁽²⁾

إذ أن المشكلة تتمثل في كيفية توظيف الباحث للنظريات في الطرح الاشكالي للبحث المراد انجازه، فهناك دراسات تخلو تماما من توظيف النظريات وأخرى تشير إليها شكليا ولا توظفها وأخرى تسعى إلى توظيفها بشكل غير صحيح . و الاستخدام الأمثل لهذه النظريات ظل هاجسا دائما لباحثين في مجال علوم الاعلام والاتصال .

مفهوم البحث العلمي:

يرى انجرس أنه : نشاط علمي يتمثل في جمع المعطيات وتحليلها بهدف الإجابة عن مشكلة بحث معينة.⁽³⁾

⁽¹⁾ _ شهرزاد سوفي، توظيف النظرية في بحوث الاعلام، ط 13 نقلا عن : شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة ، ط1، دار مصر العربية للنشر والطباعة مصر 2009 ، ص14

⁽²⁾ _ موريس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية : تدريبات عملية ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون ، دار القصة للنشر، 2006، ص144

ويعرفه محمد عبد الحميد بأنه نشاط علمي منظم ومحدد نقدي وتطبيقي ، يسعى إلى كشف الحقائق ومعرفة الارتباط بينها ثم استخلاص المبادئ العامة أو القوانين التفسيرية أو هو التحقق المنظم في موضوع ما ، قضايا فرضية للكشف عن الحقائق أو النظريات وتطويرها ، وهذا يعني أن ندرس وأن نحقق وأن نختبر وأن نفحص من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي . وهذا التعريف الذي يتفق عليه كثير من خبراء مناهج البحث العلمي يشير إلى الارتباط بينها واستخلاص المبادئ العامة أو القوانين التفسيرية اعتمادا على طرق معينة تتسم بالتحديد والتنظيم والموضوعية . (4)

وفي هذا الإطار يمكن تعريف البحث الاعلامي بأنه: النشاط العلمي المنظم للكشف عن الظواهر الاعلامية والحقائق المتصلة بالعملية الاعلامية وأطرافها والعلاقات بينها وأهدافها والسياقات الاجتماعية التي تتفاعل معها من أجل تحقيق هذه الأهداف ووصف هذه الحقائق وتفسيرها والتوقع باتجاهات الحركة فيها. (5)

مفهوم النظرية:

عرفت النظرية بأنها مجموعة من البنى المترابطة والمفاهيم والتعاريف، والمقترحات التي تقدم وجهة نظر منهجية للظواهر عن طريق تحديد العلاقات بين المتغيرات وذلك بهدف الشرح والتنبؤ. (6)

ما ترى مها عبد الحميد أن الهدف من النظرية هو توجيه البحث العلمي نحو تفسير الظاهرة التي ينتجها المجتمع فالنظرية تفسر الظاهرة ، وبالتالي توجه المجتمع الذي ينتج هذه الظاهرة. (7)

بينما يعرفها موريس انجرس: النظرية هي ممارسة عملية دقيقة بعيدة عن العشوائية مادام البحث العلمي في غياب النظرية هو بحث أعمى (8).

لقد أدى تطور وسائل الاتصال عبر مراحل التاريخ المختلفة إلى توسيع وتعمق الدراسات الاعلامية، وظهور الكثير من النظريات المفسرة للاتصال والاعلام من عدة مجالات نفسية واجتماعية واعلامية، إلا انه لا يمكن الحديث عن نظرية إعلامية واحدة متفق على كيفية عملها، أو تأثيرها في الجمهور بين الباحثين وإنما هنالك عدد من النظريات التي تقدم تصورات عن كيفية عمل الإعلام وتأثيره في الوقت ذاته تساعد هذه النظريات على

(3) _ المرجع نفسه، ص 70

(4) _ محمد عبد الحميد ، البحث العلمي في الدراسات الاعلامية، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص8

(5) _ المرجع نفسه، ص9

(6) _ منال المزاهرة، نظريات الاتصال، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان 2012، ص161

(7) _ مها عبد الحميد ، مناهج البحث في الاعلام الجديد، ط1، شركة الوايل الصيب للانتاج والتوزيع والنشر، 2013، ص199

(8) _ موريس انجرس، مرجع سابق ، ص54

توجيه البحث العلمي في مجال الاعلام إلى مسارات مناسبة ذلك أن النظرية تجسد بشكل فاعل تطبيقات وسائل الاعلام في المجتمع.⁽⁹⁾

وتعد النظرية تلك البوصلة التي تضبط وتحدد معطيات البحث انطلاقا من اختيار الموضوع إلى غاية النتيجة النهائية لأنها مبنية على أسس وافتراضات مطبقة ومستند لواقع وظاهرة واتجاه بحثي معين بالتالي يجد الباحث نفسه كلما اعتمد منظورا معيناً ينطلق منه في بحثه كلما حدد مجاله أكثر وضبط متغيرات بحثه وطور فيه وفيما تقتضيه المنظورات المقترحة.⁽¹⁰⁾

محمل القول أن النظرية في مجال علوم الاعلام والاتصال هي خلاصة الجهد التنظيري للباحثين بهدف تفسير الظواهر الاعلامية ومعرفة تأثيراتها المختلفة في المجتمع.

احترازا (عاما) ما قبل التوظيف:

هناك مجموعة من الاحترازا التي ينبغي للباحث في مجال علوم الاعلام والاتصال الانتباه لها عند توظيفه لإحدى نظريات الإعلام - أو أكثر - حتى يكون توظيفه صحيحا وتلخصها في الآتي :

أولا:

يختلف الباحثون في نظرهم للنظرية حيث ينقسمون إلى اتجاهين بارزين:

الاتجاه يعتبر النظرية على أنها براديجم (منظور) يقتصر على الأسس النظرية الموجهة للبحث.

الاتجاه الثاني: يتجاوز هذا المعنى الضيق من خلال اعتباره أن النظرية تغطي الجانب النظري والمنهجي للبحث من خلال تحديد دورها في كل من : صياغة الاشكالية وتساؤلات البحث ، تحديد المفاهيم، والفرضيات، وأدوات جمع البيانات والمنهج.

• ثانيا:

لا يجب على الباحث الباس ببحثه بنظرية ما بشكل تعسفي⁽¹¹⁾ وغالبا ما نسمع عبارة (هذا الموضوع تصلح له النظرية الفلانية). ولهذا لا بد من أن يكون هناك قدرا من الملائمة بين النظرية المتبناة وموضوع الدراسة حيث يسترشد بها الباحث كونها إطارا محددًا يتم ضمنه إجراء خطوات البحث .

⁽⁹⁾ _ منال المزاهرة، مرجع سابق، ص161

⁽¹⁰⁾ _ شهرزاد سوفي، توظيف النظرية في بحوث الاعلام والاتصال، ص13

⁽¹¹⁾ _ أحمد ابراهيم الخضر، كيف يربط طلاب الماجستير والدكتوراه النظرية بالبحث الميداني،

ثالثا:

_ تطبيق أي نظرية إعلامية لابد أن يتم عبر تكييف متغيراتها التي تقوم عليها، لتتلاءم مع سياق المجتمع المدروس وعينته فالسياق يلعب دورا في إحداث التأثير على الفرد داخل مجتمعه .

رابعا:

_ يمكن تبني مقاربات نظرية بينية لكونها تربط بين علوم الاعلام والعلوم الأخرى كعلم النفس علم الاجتماع علم السياسة الإدارة والاقتصاد وغيرها .

خامسا:

الباحثون ينقسمون إلى صنفين في استخدامهم للنظريات:

_ الصنف الأول: الايمان بالنظرية ومن ثم محاولة اسقاطها في الواقع من خلال اختيار مجموعة ظواهر يمكن أن تفسرها النظرية

_ اختيار موضوع يشكل ظاهرة تستحق الدراسة ثم اختيار النظرية المناسبة لتفسيره ومعرفة العلاقات بين ظواهره . (12)

معايير تبني مقارنة نظرية في الدراسات الاعلامية واعتباراتها:

يمكن للمقترَب النظري أن يقدم للباحثين والممارسين عموما خمس وظائف يمكن استخدامها كمعايير هي:

1_ عنصر مفاهيمي: بمعنى أن الاقتراب يعطي تنظيما جيدا لمجموعة المفاهيم الاساسية والعلاقات المتبادلة بينها، وتقدر هذه المفاهيم على اساس منفعتها التنظرية .

2_ عنصر تنظيري : بمعنى تقديم مجموعة من الفروض يمكن اخضاعها للاختبار المبدئي .

3_ قواعد التفسير التي تدلنا على العبارات التي تصف الظاهرة موضع المشاهدة، فهذا العنصر يؤدي إلى تراكم التفسيرات النظرية.

(12) _ شهرزاد سوني، توظيف النظرية في بحوث علوم الاعلام والاتصال .ص10

4_ تحديد المشكلات النظرية والميدانية التي تستحقها الدراسة: فهي مجموعة من المشكلات التي تتميز بالمهارة والاصالة في الحل والمعيار في الحكم عليها التأكد من وجود الحل.

5_ عنصر المعرفة: إذ تتوافر في الاقتراب القدرة على الإضافة للمعرفة. (13)

خطوات التوظيف: من اجل توظيف المقاربة النظرية بشكل صحيح لابد من اتباع مجموعة من الخطوات والإجراءات:

_ **اختيار الموضوع المراد دراسته:** الاشكالية هي سؤال الانطلاقة ولكنها كذلك خاتمة الجزء النظري انطلاقا من القراءة والتقصي و الاطلاع في موضوع البحث. فبعد أن يختار الباحث موضوعه عليه أن يقرأ الأدبيات المتعلقة به. وأن يستقرأ النظرية المناسبة لمقارنته.

فالنظرية بالنسبة إلى العلم هي بمثابة البوصلة للمكتشف إنها دليل لا غنى عنه في اختيار المسالك والطرق التي سيعبرها الباحث حيث تسمح له بتنظيم الملاحظات الكثيرة وتبرر الأدوات التي يستخدمها، وباختصار إنها توجه البحث. (14) عملية ضبط الإشكالية تأتي بعد قراءة التراث النظري والدراسات السابقة التي تناولت ذات الموضوع .

_ **ضبط المفاهيم:** يمكن القول إن النظرية ليست مجرد فكرة بسيطة بل حزمة من الاقتراحات المترابطة والآليات التي تشرحها، فهي تنظم مجموعة من المفاهيم، ان لم يكن هي التي تنتجها وتشرح وتبرز المبادئ المؤطرة لبعض الجوانب في فهم التجربة الانسانية (15). نلاحظ من خلال عملية ضبط المفاهيم والمصطلحات أنها عملية مهمة لأن كل مفهوم هو تلخيص لكثير من الحقائق المكونة للنظرية من جهة، وتحديد فروض النظرية من جهة ثانية يسهل ضبط المتغيرات الخاصة بكل دراسة وتحديد العلاقات داخل الظاهرة المدروسة.

_ **يضع الفرضيات** حيث يضع الاقتراحات لنظرية القابلة للاختبار عن أسباب المشكلة وأبعادها المختلفة وكيفية علاجها، وهذه افرضيات تكون منسجمة مع افتراضات النظرية المختارة. من خلال القراءة والتعمق في النظرية التي تم اختيارها كمقاربة بحثية يمكن تحديد فرضيات جيدة.

(13) _ نجية مزيان، توظيف المقاربات النظرية في البحوث الإعلامية الميدانية: مقترح الاستخدامات والاشباكات _ نموذجاً _ مجلة الاتصال والصحافة،

المدرسة العليا للصحافة، العدد

(14) _ موريس انجرس، مرجع سابق، ص 55

(15) _ نصر الدين لعياضي، البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال في المنطقة العربية وغياب الأفق النظري، مجلة دراسات المستقبل العربي، ص 11

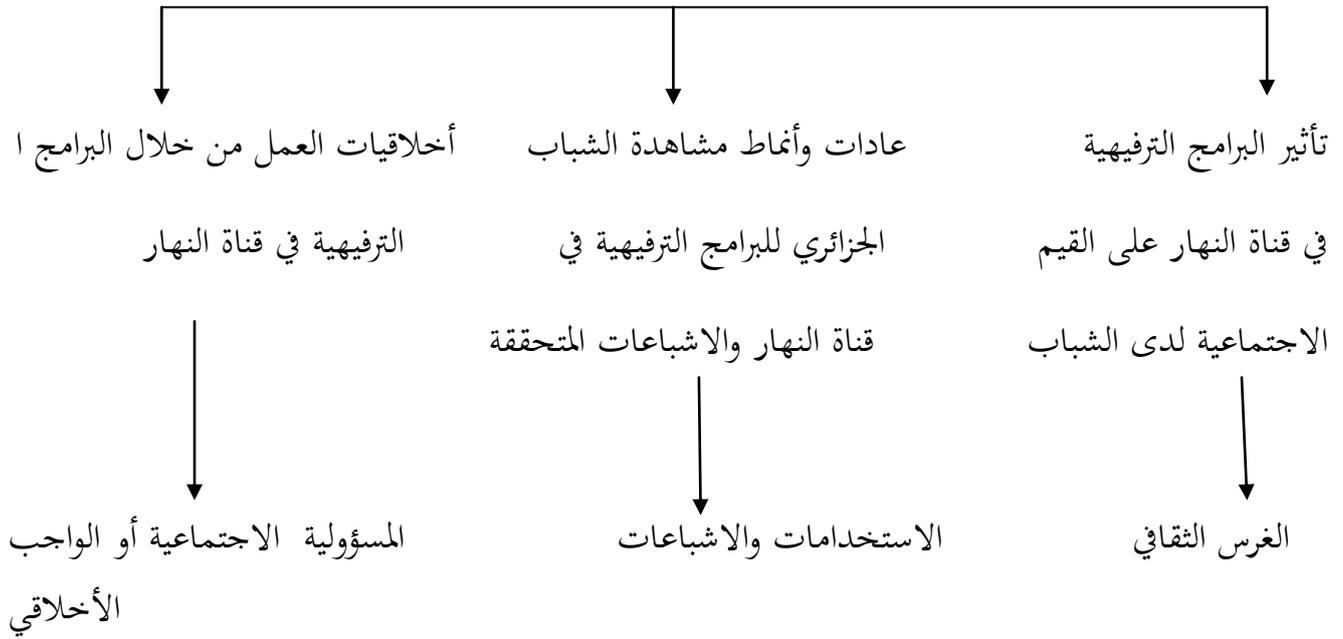
_ استغلال فرضيات النظرية ومسلّماتها في عملية وصف وتحليل وتفسير الظاهرة التي يعالجها. العلاقة بين المتغيرات ويفحص الشبه والاختلاف بين النتائج المتوصل إليها ونتائج الخلفية النظرية المختارة وبعدها يربط الخلفية النظرية ببحثه.

نموذج تطبيقي :

اختيار موضوع عام (ظاهرة تستحق الدراسة)

البرامج الترفيهية في قناة النهار الجزائرية

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة والثرات النظري في الموضوع يمكن استخراج اشكاليات متعددة لدراسة الموضوع وبالموازاة مع ذلك اختيار المقاربات النظرية المناسبة لكل اشكالية .



ملاحظة لا بد من معرفة أولية أو مبدئية بأهم النظريات في التخصص وبعد ضبط الاشكالية واختيار المقاربة النظرية المناسبة لا بد من فهم هذه الاخيرة واستيعاب فروضها والتدرب عى كيفية تحقيقها .

الإشكالية الأولى : تأثير البرامج الترفيهية في قناة النهار على القيم الاجتماعية لدى الشباب.

_ تحديد المفاهيم :

نلاحظ هنا أن المفاهيم تختلف باختلاف النظرية المختارة لمقاربة الموضوع حيث نجد أن نظرية الغرس الثقافي (المقاربة النظرية المناسبة للموضوع) لها مفاهيمها مثل :

__ عملية الغرس. الشباب. الترفيه. القيم. البرامج الترفيهية التلفزيونية

و التحديد يكون في سياق النظرية.

و هناك مفاهيم ضمنية: التعلم_البناء_التعميم_الغرس

__ تحديد فروض النظرية:

تقوم نظرية الغرس على الفرض الرئيسي الذي يشير إلى أن الافراد الذين يتعرضون لمشاهدة التلفزيون بدرجة كثيفة يكونون أكثر إدراكا لتبني معتقدات عن الواقع الاجتماعي تتطابق مع الصور الذهنية والنماذج والأفكار التي يقدمها التلفزيون عن الواقع الاجتماعي أكثر من ذوي المشاهدة المنخفضة:

وتقوم نظرية الغرس على مجموعة من الفروض الفرعية:

__يتعرض الافراد كثيفوا المشاهدة للتلفزيون أكثر بينما يتعرض الأفراد قليلوا المشاهدة إلى مصادر متنوعة مثل التلفزيون والمصادر الشخصية.

__ يختلف التلفزيون عن غيره من الوسائل الأخرى، بأن الغرس يحدث نتيجة التعرض والاستخدام غير الانتقائي من قبل الجمهور .

__يقدم التلفزيون عالما متماثلا من الرسائل الموحدة والصور الرمزية عن المجتمع بشكل موحد أو متشابه عن الواقع الحقيقي.

__ يزيد حدوث الغرس عند اعتقاد المشاهدين أن الدراما واقعية.وتسعى لتقديم حقائق بدلا من الخيال.
(16)

• تحليل مضمون الرسائل الإعلامية يقدم علامات لعملية للغرس

__ ضبط البناء المنهجي للبحث:

النظرية موجهة لمنهج البحث وأدواته، والمنهج المعتمد للدراسة وهو المنهج المسحي ولكن الاختلاف بالنسبة لهذه الاشكالية يكون على مستوى الأداة لانه يستتبع النظرية المختارة .

وعليه لا بد من أداتين رئيسيتين هما:

استمارة تحليل المحتوى:

تحليل محتوى البرامج الترفيهية : من أجل معرفة السياسات والأهداف التي تسعى إليها النظم الاجتماعية والقيم السائدة (معرفة محتوى القيم الاجتماعية السائدة في المضمون)

استمارة استبيان:

استخدام نتائج التحليل لإعداد صحيفة استبيان لقياس إدراك المبحوثين للقيم الاجتماعية .

وكذلك اجراء مسح ميداني لمعرفة حجم التعرض (كثيف_متوسط منخفض) .

تحديد المتغيرات:

المتغير المستقل :حجم التعرض

المتغير التابع: الغرس ويمثله معتقدات وتصورات المبحوثين حول موضوع البحث (القيم الاجتماعية)

العينة:

عينة المادة الاعلامية : والمتمثلة في البرامج الترفيهية المعروضة على قناة النهار.

جمهور المشاهدين : ويمثلهم فئة الشباب _حسب إشكالية الدراسة_ الذين يشاهدون البرامج الترفيهية .

الإشكالية الثانية: عادات وأنماط مشاهدة الشباب الجزائري للبرامج الترفيهية في قناة النهار والاشباكات المتحققة.

تحديد المفاهيم: المفاهيم تتحدد بناء على المقاربة النظرية المختارة لإجراء البحث: الاستخدام

الاشباع،العادات، البرامج الترفيهية التلفزيونية

و المفاهيم الضمنية مثل: _التعرض _ الوظيفة_ الدافع ..

افتراضات النظرية:

تعتمد نظرية الاستخدامات و الاشباكات على خمسة فروض:

إن أعضاء الجمهور مشاركون فعالون في عملية الاتصال الجماهيري ويستخدمون وسائل الاتصال لتحقيق أهداف مقصودة .

يعبر استخدام وسائل الاتصال عن الحاجات التي يدركها أعضاء الجمهور ويحكم ذلك الفروق الفردية وعوامل التفاعل الاجتماعي ، وتنوع الحاجات باختلاف الأفراد.

التأكيد على أن الجمهور هو الذي يختار الوسائل والمضمون الذي يشبع حاجاته، فالأفراد هم الذين يستخدمون وسائل الاتصال وليست هي التي تستخدم الأفراد.

يستطيع أفراد الجمهور دائما تحديد حاجاتهم ودوافعهم ، وبالتالي يختارون الوسائل التي تشبع تلك الحاجات.

الاستدلال على المعايير الثقافية السائدة من خلال استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال وليس من خلال محتوى الرسائل . (17)

البناء المنهجي للبحث:

النظرية موجّهة لمنهج البحث وأدواته ، والمنهج المعتمد للدراسة وهو المنهج المسحي ولكن الاختلاف بالنسبة لهذه الاشكالية يكون على مستوى الأداة لانه يستتبع النظرية المختارة .

أداة البحث في ظل نظرية الاستخدامات : الأداة المناسبة هي استمارة استبيان وذلك لقياس :

عادات المشاهدة : التركيز على المشاهدة ..التفاعل والنقاش مع الاخرين...

شعور المستخدم أثناء المشاهدة: الارتياح...الاضطراب...تضييع الوقت .

تحقيق الرغبات (بعد المشاهدة): الاسترخاء ..الهروب من الواقع...التنفيس العاطفي ...

تحليل وتفسير النتائج: بعد عملية النزول إلى الميدان أو بعد عملية التحليل وجمع المعلومات والبيانات وتفرغها

في جداول والقيام بالعمليات الاحصائية المناسبة يأتي دور التحليل والتفسير بناء على النظرية

المتبناة وافترضاؤها . حيث يتم استغلال فرضيات الدراسة في عملية وصف وتحليل وتفسير الظاهرة التي يعالجها

ويفحص الشبه و الاختلاف بين النتائج المتوصل إليها ونتائج الخلفية النظرية المختارة . في السياق العام للبحث.

خاتمة:

بعد هذا التوضيح المختصر لإجراءات توظيف النظرية في بحوث الاعلام من خلال تطبيق على نموذج بحث إلى القول بأن النظرية تكتسي أهمية بالغة بالنسبة للبحث الاعلامي سواء على مستوى البدايات كتحديد الموضوع وضبط إشكاليته أو على مستوى الإجراءات المنهجية كاختيار المنهج والأدوات المناسبة للبحث .وإذا التزم الباحث بهذه الخطوات في عمله فان بحثه يكون متكاملًا من حيث الشكل والمضمون والهيكلية المنهجية.

كما تتضح من خلال هذه الورقة البحثية أن النظرية هي البوصلة لقيادة عملية البحث من أجل الوصول إلى نتائج ذات مصداقية في تفسير الظواهر الاعلامية .وعليه يجب الانتباه عند دراستنا وتدريسنا لنظريات الاعلام إلى أنها ليست مجرد سرد تاريخي لنشوء النظرية وروادها وأهم فروضها ،بل هي ضابط منهجي يبنى عليه البحث ككل .